

كيفية التعامل مع غير المسلم؟

يقع كثير من المسلمين الذين يخشون على دينهم في حيرة ولقلق بسبب هذا السؤال، ويريدون بطرحه الوصول إلى قول فصل، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، والإجابة مبسرة إلى حد بعيد، فكل ما على المسلم أن يفعله أن يرجع إلى كتاب ربه، وستة نبهه، وسيمصل إلى يقفته في ذلك، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي قدّم لنا حلاً لتعايش المسلم مع غيره من أصحاب الملل المختلفة، ومن تعليمات الإسلام وإرشاداته أنه نهيتنا وعلمنا كيف نعامل غير المسلم في المائل والمشرب والتكاح وغير ذلك من الأشياء الخاصة بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم.

البر بهم والإحسان إليهم

يرشدنا الإسلام إلى أن الأصل في معاملة الناس جميعها مسلمهم وكافرهم البر بهم، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ يَفْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكم مِّن دياركم أَن تَرُدُّوهم وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْتَهِكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكم مِّن دياركم وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تُولَدُوهم وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَدْتَهُم الْفَاطُونَ﴾ [الممتحنة: 938-]. فلم ترغب الآيات في العدل والإحسان إلى غير المسلمين فحسب، بل رغبت في البر إليهم أيضا. وإذا كان الإسلام لا ينهاي عن البر والإقسط إلى المخالفين من أي دين ولو كانوا وثنيين أو مشركين، فإنه ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد قدّم القرآن الكريم نموذجا في أدب الحوار معهم فلا يتأديهم إلا بقوله تعالى: يا أهل الكتاب، يا أيها الذين أوتوا الكتاب، وذلك إشارة إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي، وبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، يتمثل في أصول الدين الواحد الذي بحث به الله – سبحانه وتعالى- أنبياءه جميعا قال تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى إن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» [الشورى: 13].

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرفوعة عند يهودي في ثلعة عماله، ودخل وقد نجران على النبي (مسجده بعد العصر)، فكانت صلاتهم، فلماوا يصلون في مسجده، فإراد الناس منهم، فقال: «دعوهم»!

فاستقبلوا للشرق فاصلوا صلاتهم. وقد أوصى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بإهل الذمة خيرا، وأن يفي بعهدهم، ولا يظلمهم فوق طاقتهم، والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصرى الثمانين والحمانيه.

وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية. والإسلام جعل من بين أركان عقيدته الإيمان بكتب الله قاطبة، ورسله جميعا، ومن ينكر ذلك يدخل في دائرة الكفر، قال تعالى: «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهمْ لَّا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقد أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم، والتزوج من نسائهم في الحدود الشرعية المسوَّحة، قال تعالى: «ووطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات الذي أوتوا الكتاب من قبلكم» [المائدة: 5].

الرفق في الحديث

حث الإسلام على الترفق في الحديث معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن: لأن في ذلك ترعا للأخلاق، وتقلية للنفوس مما يعلق بها من حقد، قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهاً وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» وكذلك حث الإسلام على توفير الحياة الآمنة، كما حث على الصديق في التعامل والمسلم والسلم مع غير المسلمين، وقال: (من أدّى دميّا فأنا حده، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) [الخطيب}، وقال: (من قُلم معاجدا، أو انتقص حقا، أو كلفه فوق طاقتة، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا

■ **العودة: النهي عن إلقاء السلام على اليهود والنصارى جاء في ظرف خاص وفي ظل توتر في العلاقات**

■ **هناك خلاف بين السلف في كيفية التعامل ورد السلام يدل على أن الأمر فيه سعة**

■ **النبي قبل هدية من غير المسلمين وأهدى لهم وهو صاحب الشريعة**

حجيجه يوم القيامة) [أبو داود]، كما أجاز الإسلام للمسلم أن يهدي الهدايا إلى غير المسلمين، وأن يقبل منهم الهدية ويجازيه عليها، فقد ثبت أن النبي (أهدى إليه الملوكة، قليل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة -أم المؤمنين- رضي الله عنها-، أن النبي قال لها، «إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأوافق من سكت» [أحمد].

ويجب على المسلم أن يكون تعامله مع غير المسلم في حدود القائلين فيه لا التاتل به، فكل له عاداته وتقاليده، فلا يجوز للمسلم التشبه بغير المسلم فيما يخالف مبادئ الإسلام، كان يتشبه بهم في ملابسهم، أو يقدم مشروبا محرما لضيفوه، أو طعاما غير حلال للمسلمين، أو ما شابه ذلك.

هذه هي مبادئ الإسلام الخالدة وقيمه السامية التي تتعامل مع الإنسان وتحترمه، فقد كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدتين بالفارسية، فمرّ الناس عليهما بجنازة فقاما، فقبل لهما: إنهما من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقلّا: إن النبي (مرت به جنازة فقام، فقبل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (البيست نفسا) [البخاري].

مبادئ إسلامية

هناك مبادئ يجب أن ترسخ في ذهن كل مسلم ليعرف كيف يتعامل مع غير المسلمين ومنها: أولا: اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: «ولقد كرّمنا بني آدم» [الإسراء: 70] وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العظيمة ما رواه البخاري عن جابر ابن عبد الله: أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا، فقبل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال:«البيست نفسا؟» بلى، ونكث نفس في الإسلام حرمة ومكان. فما روع الموقف وما روع التفسير والتعليل! ثانيا: اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذي منحه هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (الكهف: 29) «ولو لم يشأ ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (هود: 118، 119) قال المفسرون: أي ولا اختلاف خلقهم؛ لأنه منجمهم العقل والإرادة، فاقترضت مشيئته أن يختلفوا. والمسلم يؤمن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، علم الناس ذلك أو جهلوا؛ ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يجبر الناس ليصيروا كهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم: «ولو لم يشأ ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» (يونس: 99).

ثالثا: ليس المسلم مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين. قال تعالى: «وإن جادلوك فقل: الله أعلم بما تعملون». الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون» (الحج: 68، 69). وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: «قلّلك فارع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقلّ آمئت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير» (الشورى:15).

وقد قال عيسى عليه السلام لربه يوم القيامة: «إن تعذيب قائمهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» (المائدة: 118).

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي اثر للصراع بين اعتقاده بكرّ الكافر، ومطابقته ببرد والإقسط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

رابعا، إيمان المسلم بأن الله يامر بالعدل، ويحب القسط،

تولى عمر بن العزيز في ربيع الأول من عام 87هـ إمارة المدينة المنورة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ثم ضم إليه ولاية الطائف ستة 91هـ وبذلك صار وأتيا على الحجاز كلها؛ واشتراط عمر لتوليهِ الإمارة ثلاثة شروط: الشرط الأول:أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدا ولا يجوز على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق ليت للمال، ويترتب على ذلك أن يال ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة. الشرط الثاني: أن يسمح له بالحق في أول ستة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج؛ الشرط الثالث: أن يسمح له بالعماء أن يخرجوه للناس في المدينة فوافق الوليد على هذه الشروط.

بأشر عمر بن عبدالعزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحا شديدا؛ واتخذ لنفسه مجلسا للشورى والذي تكون من فقهاء وعلماء حيث دعا بعد أن تولى مباشرة عشرة من فقهاء المدينة، وهم غررة ابن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت، فدخلوا عليه فجلسوا الحمد لله والثني عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تخرجون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمرا إلا ب رأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو يبلغكم عن عامل لي قلامة، فأحرج الله علي من بلغه ذلك إلا أبلغني، لقد عرفت أن عمر بن الخطاب كان يجمع المجلس للأمير بطرا، فبقي ضرورة الشورى فيه، أما عمر بن عبدالعزيز، وهو سبط عمر بن الخطاب، فقد أحدث مجلسا، حدد صلاحياته بإسرين: أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمرا إلا برأيهم، وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس، الذي تسميه (مجلس العشرة) إن عمر افترض - غياب

اشتراط ثلاثة شروط لقبول الولاية

عمر في المدينة.. عدل مع الناس وحرص على طاعة ولي الأمر

أدعهم عن الحضور لعذر من الأعذار ولهذا لم يشترط في تدبيره حضورهم كلهم، وإنما قال: (أو برأي من حضر منكم)، إن هذا المجلس كان يستشار في جميع الأمور دون استثناء، وتؤكد هذه القصة أهمية العلماء الربانيين وعلو مكانتهم وأنه يجب على صاحب القرار أن يدينهم ويفرهم منه ويشاورهم في أمور الرغبة، كما أنه على العلماء أن يلتفتوا حول الصالحين من أصحاب القرار من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن للصالح وتقليل ما يمكن من الفساد، كما أن عمر بن عبد العزيز لم يختص في شؤراه على هؤلاء فحسب، بل كان يستشير غيرهم من علماء المدينة، كسعيد بن المسيب، والأزهري، وغيرهم، وكان لا يقضي في قضاء حتى يسأل سعيد، وفي المدينة أظهر عمر عبد العزيز إجلاله للعلماء وإكباره لهم، وقد حدث أن أرسل رحمه الله تعالى رسولا إلى سعيد بن المسيب يسأله عن مسألة، وكان سعيد لا يأتي أمير ولا خليفة فأخطأ الرسول فقال له: الأمير يدعوك، فأخذ سعيد نعليه وقام إليه في وقته، فلما رآه عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا، فإنا لم ترسله لدعوك، ولكنه أخطأ إنما أرسلناه ليسالك ، وفي

■ **قُرب العلماء**

■ **الربانيين من**

■ **ابن عبدالعزيز زاد**

■ **المصلحة وقلل**

■ **المفسدة**

إمارته على المدينة المنورة وسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من والوليد بن عبد الملك، حتى جعله مائتي ذراعا في مائتي ذراع، زخرقه بأمر الوليد أيضا، مع إنه رحمه الله تعالى كان يكره زخرفة المساجد ، ويوضح من موقف عمر بن عبد العزيز هنا أنه قد يضطر الوالي للتجاوب مع قرارات ممن هو أعلى منه حتى وإن كان غير مقتنع بها إذا قدر أن المصلحة في ذلك أكبر من وجوه أخرى. وفي إمارته على المدينة في ستة 91هـ حج الخليفة الوليد بن عبد الملك فاستقبله عمر بن عبد العزيز أحسن استقبال، وشاهد الوليد بأمر عينيه الإصلاحات العظيمة التي حققها عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة.



عرب الصحراء

أصبحوا سادة الأمم بالأخلاق

عند الله أعظم من حرمك؛ ماله ودمه)؛ اللفظ لأبن ماجه.

مكانة الأخلاق في ديننا

للأخلاق في ديننا مكانتها الخاصة وميزانها الرفيعة، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قصر الهدى من رسالة الإسلام على تنميط مكارم الأخلاق في واقع الناس وسلوكهم. وهذا مدلول لوله- صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»، وهذا حق وصق؛ حيث نلاحظ دائما أن الهدف الخلقى والسلوكي هو المبتغى من وراء التكليف بالعبادة في إجمالها وفي تفصيلها، فعلى سبيل الإجمال نقرأ قوله تعالى: (يا أيها الناس أعبدا ربيكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، وعلى سبيل التفصيل نقرأ قوله تعالى في شأن الصلاة: «وأقم الصلاة» إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون»، وفي شأن الصيام «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون»، وفي شأن الزكاة «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك لبكم سكنن لهم والله سميع عليم»، فلا عجب إذا أن يعتبر سلفنا الصالح الذين هو الخلق، وهذا ما عبر عنه ابن القيم- رحمه الله- بقوله: «الدين الخلق، فمن زاد على الخلق زاد عك في الدين، ومن نقص عنك في الدين نقص عنك في الدين». وهكذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم غير حال أمة العرب من القلام إلى النور ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة.

«فياح هؤلاء البشر إلى ما صاروا عليه بعد إسلامهم، وأن يصحبوا بهذه الأخلاق الفادرة التي هي رسالة السماء إلى الأرض، من خلال النبي الذي كان معروفا بين قومه – من قبل أن يبعث – بالصادق الأمين – صلى الله عليه وسلم – فقد حول مولد الهادي وبعثته – رعاة الغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، كان الرجل من الصحابة – مثلا – يأتي من الجاهلية جاهلا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، غير مؤمن بشيء من أمور الدين، ولا بأخلاق، فيلفظ أمام الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيخبره الرسول – عليه الصلاة والسلام – بأمور الإسلام والإيمان، وما يجب عليه، وخلال جلسات قليلة – أو ساعات قليلة – نجد هذا الإنسان قد انقلب خلقا آخر، وتغير تغيرا جذريا، تغير في سلوكه، وفي أخلاقه، وفي شخصيته، وفي نظراته، وفي تصرفاته، حتى كأنه ليس الشخص السابق، وأدلك صار يظهر منهم البطولات التي يلف الإنسان أمامها مبهورا، وهو يقرأها على صفحات الكتب، فيستغرب كيف وصل بشر من البشر إلى هذا الحد. وأحيانا خلال فترة قصيرة جدا.

وأكبر دليل على ذلك أننا في عصرنا الحاضر بعد أن تخلفنا عن أخلاقنا ضاعت منا الدنيا، بعد أن كنا نملكها، وأصبح أرخص دم يراق على الأرض هو دم المسلم، هذا السلم الذي قال فيه النبي فيما يرويه عبدالله بن عمرو، قال: رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطوف بالكعبة، ويقول: (ما أطيبك! وما أطيب ريحك! ما أعظمك! وما أعظم حرمك! والذي نفس محمد بيده، لجرمة المؤمن

إن حياة نبيّنا محمد – صلى الله عليه وسلم – مليئة بما يثبت ويدل على أن هذا الدين ما أتى إلا ليعفّر طباع البشر إلى الأخلاق الحميدة الحسنة، التي كانت في مرحلة بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – قد وصلت إلى أسوأ ما تكون عليه البشرية من طباع وعادات وتقاليده، اللهم إلا القليل، ولكم كان من الصعب أن يتخيل أحد أن يكون العرب الأجلاف الصعاب الأشداء بهذه الأخلاق التي سماها بها على الدنيا! وسادوا الدنيا بعد أن هذب النبي – صلى الله عليه وسلم – أخلاقهم بوحى من الله – عز وجل – حتى يكون سبب أو أحد أسباب تملككم للدنيا هي أخلاقهم.

العرب قبل الإسلام

فلننظر إلى مجتمع العرب وقت رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – نجد أن أخلاق العرب في قمة السوء حيث أولعوا بالخمر والفقر، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والتكلم، وسكّ الدماء، والأخذ بالثأر، واعتصاب الأموال، وأكل مال اليتامى، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا، وما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الربايات من البغايا، ويشتر أن يكون في الخمر، وليس ادل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: «على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزني» «فالت السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان؛ أوتزنى الحرة»!

وله كان شربا من الخيال أن يتخيل أي أحد أن تتغير